تدريس النحو بين كتابي الجيل الأول و الجيل الثاني
السنة أولى من التعليم المتوسط أنموذجا

Teaching Grammar between First and Second Generation Books -The first year of intermediate education as a model

تاريخ الإرسال: 2018-03-27 تاريخ القبول: 2018-10-17

الطالبة: نوال حامد
Hamed.nawal@yahoo.com
التخصص: نحو و صرف
المشرف: أ.د/ محمد بن حمو
مخبر الدراسات الصحراوية- جامعة طاهري محمد (بشار)
جامعة طاهري محمد- بشار- (الجزائر)

الملخص:

يقارن هذا المقال بين طريقة تدريس النّحو في كتاب الجيل الثاني(كتابي في اللغة العربية للسّنة أولى من التّعليم المتوسط) و طريقة تدريسه في كتاب الجيل الأول(كتاب اللغة العربية –السّنة أولى من التّعليم المتوسط) وذلك فيما يتعلق :بالمحتوى(المادة التّعليمية المنتقاة)- طريقة ترتيبها- الطريقة المعتمدة في هذا النشاط- إجراء التّطبيقات – الحجم- الشّكل و الإخراج؛ للوقوف على أوجه التشابه و الاختلاف لمعرفة مدى نجاح التّغييرات التي أحدثها واضعو كتاب الجيل الثاني- مواكبة للطرق الحديثة في تعليم اللغات- في تحقيق الأهداف المرجوة من تدريس النّحو و هي الاستعمال الصّحيح الفصيح للغة العربية, و تفادي العامية مشافهةً وكتابةً.

الكلمات المفتاحية: قواعد اللغة – الجيل الثاني- النّحو الوظيفي – الجيل الأول.

Summary:

This article compares between the method of teaching grammar in the book of the second generation (my book in Arabic for the first year of middle school) and the method of teaching in the first generation book (Arabic language book - the first year of intermediate education) - how to order - the method used in this activity - the conduct of applications - size - shape and output; to identify the similarities and differences to see the success of the changes made by the authors of the book the second generation - to keep abreast of modern methods in teaching languages - In achieving the desired objectives of the teaching of grammar and is the correct use of Arabic language, and avoid colloquial verbally and in writing.

Keywords: grammar, second generation, Functional grammar, first generation.

ليست قواعد النّحو غاية في حدّ ذاتها ,إنّما هي وسيلة إلى تمكين المتعلمين من الملكة اللّسانية الصّحيحة , و عصمة ألسنتهم و أقلامهم من الخطأ ,و إعانتهم على الدّقّة في التّعبير و الفهم؛ يقول ابن جني (392هـ) في تعريفه للنحو:«هو انتحاء سمت كلام العرب من تصرفه من إعراب و غيره كالتثنية, و الجمع, و التحقير, و التصغير, و الإضافة, و النسب, و التركيب و غير ذلك ليلحق من ليس من أهل اللغة العربية بأهلها في الفصاحة, فينطق بها و إنْ لم يكن منهم، و إنْ شذّ بعضهم عنها ردّ به إليها. »[1]

فالنّحو إذًا هو محاكاة لغة العرب الفصحاء بنيةً و تركيبًا قصد ضبط الكلام, و تصحيح الأساليب, و تقويم اللّسان؛ لذا ينبغي ألا ندرس من النّحو إلاّ القدر الذي يعين على تحقيق هذه الغاية, و هذا يعني النّظر إلى هذا النّشاط من المنظور العمليّ الذي تشتد حاجة المتكلم إليه.

و الواقع أنّ الجاحظ قد أدرك هذه الحقيقة منذ القرن الثاني الهجريّ، حيث يقول في إحدى رسائله: « أمّا النّحو فلا تُشغل قلب الصّبي منه إلا بقدر ما يؤديه إلى السّلامة من فاحش اللّحن, ومن مقدار جعل العوام في كتاب إنْ كتبه, و شعر إنْ أنشده, وشيء إنْ وضعه, و مما زاد عن ذلك فهو مشغلة عمّا هو أولى به, من رواية المثل, و الشّاهد, و الخبر الصّحيح, و التّعبير البارع.»[2] فهو يرفض تقديم النّحو دفعةً واحدةً بتشعباته و اختلافاته و تأويلاته للناشئة إنّما ينبغي الوقوف على ما يهم المتعلم، و يحميه من اللّحن لسانًا و قلمًا، و يساعده على التّواصل مع غيره بلغةٍ سليمةٍ.

لقد اهتم علماء تعليم اللّغات بطرق التّدريس, و أولوها كبير العناية, محاولين الوصول إلى الطريقة النّاجعة في التّدريس والأكثر فائدة؛إلى جانب عنايتهم أيضا بالمتعلّم و المعلّم, و وسائل التّعليم بما فيها الكتاب المدرسيّ الّذي يلعب دورًا مهماً في تحبيب التّلاميذ للمادة التّعليميّة, أو نفورهم منها؛ و هو الأمر الّذي دفع واضعي الكتب المدرسيّة في الجزائر إلى إصدار ما يسمى بكتب الجيل الثّاني -تماشيًا و النّظريات الحديثة - في المواد التّعليميّة منها اللّغة العربية للسّنة الأولى متوسط.

ما هي طريقة التدريس؟

و لما كان التّدريس علمًا و فنًا و تطبيقًا يهدف إلى تحقيق التّعلّم الّذي يتطلب استراتيجيّةً مناسبةً فإنّه يستلزم - بالإضافة إلى المدرس النّاجح و الطّلبة- توفر المحتوى التّعليميّ، و النّشاطات، و الطّرائق الّتي تستعمل لإيصال المحتوى الذي يرتبط به المدرس و المتعلم بعلاقةٍ تفاعليّةٍ تخلقها الطّريقة التّدريسيّة النّاجحة.[3]

تعرف دروزة طريقة التّدريس بأنّها النّهج الّذي يسلكه المعلّم في توصيل ما جاء في الكتاب المدرسيّ أو المنهاج الدّراسيّ من معرفة, و معلومات, و مهارات, ونشاطات للمتعلّم بسهولة و يسرٍ، بحيث تكفل طريقة التّدريس هذه التّفاعل بين المعلّم و الطّلاب, و بين الطّلاب و المادة الدّراسية, و الطّلاب بعضهم مع بعض, ثم بين الطّلاب و أفراد البيئة المحلية.[4]

عند الحديث عن طرائق تدريس اللّغات عامة و اللّغة العربيّة خاصّة يرى الأستاذ عبد الرّحمن الحاج صالح أنّه يجب طرح سؤالين مهمين هما: ماذا يجب أنْ نعلّمَ من اللّغة؟ و كيف يجب أنْ نعلّمَه؟ فأمّا ماذا يجب أنْ نعلّمَ من اللّغة العربيّة؟ فالمقصود به المادة اللّغويّة التي عليها الدّرس اللغويّ. فأمّا كيف يجب أن نعلّمه ؟ فهو راجع إلى علم تدريس اللّغات و طرائق التّدريس.[5]

يستخلص من التّعاريف السّابقة أنّ طريقة التّدريس هي تلك الأساليب و التّقنيات و الوسائل و المبادئ الّتي يعتمدها المعلّم, ويستعين بها في تقديم دروسه و إيصال المعرفة إلى المتعلمين, فطريقة التّدريس إذًا تعتبر حلقة وصل بين البرامج (محتوى الكتاب المدرسيّ) و التّلميذ ،و وسيلة هامة في تحقيق أهداف مادة من المواد الدّراسيّة.

و لأهمية الكتاب المدرسيّ في عملية التّدريس, سعت الجزائر إلى إصلاح منظومتها التربوية من خلال إصدار كتب الجيل الثاني, لتواكب بعض ما جاءت به بعض النّظريات الحديثة في طرق التّدريس و علم تعليم اللّغات؛ و هو كتابٌ مدرسيٌّ أصدرته وزارة التّربية الوطنيّة في الموسم الدّراسيّ 2016-2017 م في الإصلاح التّربويّ الأخير أي المرحلة الثّانية من تبنيها للمقاربة بالكفاءات هدفًا و المقاربة النصيّة نهجًا في تناول المواد الدّراسيّة, و ذلك امتدادٌ للمرحلة الأولى الّتي كانت

في إصلاح سنة 2003-2004 م الّذي مسّ مختلفَ الجوانبِ الهيكليّة و البيداغوجيّة, و قد جاء كتاب الجيل الثاني لإصلاح بعض هفوات كتاب الجيل الأول, و تدارك بعض نقائصه و أخطائه.

أدرج كتاب الجيل الثّاني لمادة اللّغة العربيّة الخاص بالسّنة الأولى متوسط بعض التّحسينات على سابقه, و أصلح بعض هفواتِه, دون المساس ببنية المادة و حجمها السّاعيّ وهذه التّحسينات مسّت المحتويات و طرق التّعليم؛ بحيث تمّ التّركيز على الممارسة في القسم, و فهم الدّروس بدل حفظها, و اكتساب المهارات عوض التّكرار؛ أمَّا التّغيير اللافت للانتباه هو تركيز الكتاب على القيم الجزائريّة, و اعتماده نصوصًا ثريّة جزائريّة, تربط التّلميذ بعاداته و تقاليده نحو نصوص: أحمد سحنون, عبد الحميد بن باديس, مولود فرعون وآخرون

تسعى هذه الورقة البحثية إلى تتبع التّغيير الملموس في نشاط قواعد اللّغة و ذلك بالمقارنة بين هذا النشاط في كتاب الجيل الأول و الجيل الثاني للسّنة الأولى متوسط من خلال الإجابة على مجموعة تساؤلات منها :هل جاء كتاب الجيل الثاني (كتابي في اللغة العربية للسنة الأولى متوسط) بتغيير في نشاط قواعد اللغة عن سابقه؟ ما هي أوجه التشابه و كذا الاختلاف في هذا النشاط بين الكتابين؟ و ما مدى نجاعة هذا التغيير؟.

1) المحتوى (المادة المنتقاة):

تضع القواعد النّحوية أسسًا دقيقةً للمحاكاة, كما تعمل على تكوين العادات اللّغويّة الصّحيحة للمتعلم حتى لا يتأثر بالعاميّة, وتعمل أيضا على حشد عقله, و صقل ذوقه, و تمكينه من التّعبير الشّفويّ و الكتابيّ وفق قواعد اللّغة.[6] و لا يعني تعليم النّحو تدريس كلَّ قضاياه بكلِّ شموليتها و دفعةً واحدةً ,وإنّما الاكتفاء منها بالعناصر الوظيفيّة, أي التّركيز على الموضوعات النّحويّة الّتي تتسع في الاستعمال اليوميّ ؛و قد ألحّ على هذا الأمر العديد من الباحثين, من بينهم أحمد السّيّد بقوله:« ينبغي أنْ تكونَ الموضوعاتُ التي تقدم إلى الدّارسين في النّحو موضوعات وظيفيّة, بمعنى أنْ تخدمَ الإنسانَ في حياته, فتُلبي حاجاته اللّغويّة, وتُسهل له عمليات التّفاعل الاجتماعيّ بحيث يقرأ بصورة سليمة و يكتب بأسلوب سليم ,و يعبر بشكل صحيح, و يستمع, فتعينه معرفته النّحويّة على فهم ما يستمع»[7]

لقد أولى واضعو كتاب الجيل الثاني(كتابي في اللّغة العربيّة السّنة الأولى من التّعليم المتوسط) أهمية للجانب الوظيفيّ أثناء اختيارهم للمادة التّعليميّة. فقد حاولوا انتقاء المواضيع ذات الصّلة بالاستعمال الصّحيح اليوميّ للّغة ,نائين عن كلّ ما فيه غموضٌ ,أو شذوذٌ, أو تأويلاتٌ ؛فجاءوا بدروسٍ جديدةٍ, و حذفوا أخرى كانت موجودةً في كتاب(اللّغة العربيّة للسّنة الأولى من التّعليم المتوسط) و غيروا أسماءَ بعض الدّروس, وأدمجوا دروسًا في درسٍ واحدٍ, و استخرجوا من درسٍ واحدٍ أكثرَ من درسٍ,كما غيروا في طريقة تناول الدّروس.

أ) محتوى كتاب (اللّغة العربيّة للسّنة الأولى من التّعليم المتوسط)[8]:

احتوى نشاط قواعد اللّغة في كتاب الجيل الأول على 28 درسًا تراوحت بين النّحو و الصّرف و الإملاء و جاءت مرتبة بالشّكل التّالي: همزة القطع – الميزان الصّرفي- أزمنة الفعل –الفعل الصّحيح و أقسامه- تصريف الفعل الصّحيح- همزة القطع في بداية الكلمة-الفعل المعتل- الفعل اللازم و الفعل المتعدي- الفعل المبني للمجهول- الفعل المضارع المرفوع- الفعل المضارع المنصوب- الفعل المضارع المجزوم- عناصر الجملة الفعلية- الفاعل- همزة الوصل- المفعول به- اسم الفاعل- اسم

المفعول- عناصر الجملة الاسمية- دخول كان وأخواتها على الجملة الاسمية- دخول إنّ و أخواتها على الجملة الاسمية- المفرد و المثنى و الجمع- النّكرة و المعرفة- التّاء المربوطة و التّاء المفتوحة- النّعت و المنعوت – التّنوين بالفتح – التّرقيم- حذف الألف. فهي 8 دروس إملائيّة، 10 دروس صرفيّة، و 10 دروس نحويّة.

ب) محتوى كتاب الجيل الثّاني(كتابي في اللّغة العربيّة السّنة أولى من التّعليم المتوسط):[9]

لم يختلف عدد الحصص المخصصة لنشاط قواعد اللّغة في الكتاب الجديد عن عددها في سابقه فهي 28 درسًا أيضا و جاءت مرتبة بالشّكل التّالي: النّعت- أزمنة الفعل- الضّمير و أنواعه- علامات الوقف 1- النّعت السّببيّ- أسماء الإشارة- الاسم الموصول- الفاعل- جمعا المذكر و المؤنث السّالمين- همزة الوصل- علامات الوقف 2- المبتدأ و الخبر- كان و أخواتها- همزة القطع- الهمزة في آخر الكلمة- إنّ و أخواتها- نائب الفاعل- المفعول به- (ال) الشّمسية و (ال) القمرية- المفعول المطلق- المفعول لأجله- الحال – أنواع الحال- حذف الألف- حذف همزة (ابن) –ألف التّفريق- الألف اللينة 1- الألف اللينة 2. فهي 11 درسًا إملائيًّا، و درسان صرفيان، و 11 درسًا نحويًّا.

و المتصفِّحُ لعناوين محتوى الكتابين يتوصل إلى:

أ- عناوين الدّروس المتفق عليها في الكتابين:

أبقى كتاب الجيل الثاني على بعض دروس الكتاب القديم و بنفس العناوين وهي: أزمنة الفعل – الفاعل- همزة الوصل – المفعول به- حذف الألف- همزة القطع إلّا أنّه غيّر في طريقة عرضها، كما خصص حذف الألف في كلمة ابن فقط، و جمع درسي همزة القطع و همزة القطع في بداية الكلمة في درسٍ واحدٍ عُنْوِنَ بـ همزة القطع.

ب- عناوين الدّروس التي تغيرت أسماؤها:

سُميت بعض الدّروس في الكتاب الجديد بأسماء مختلفة عمّا كانت عليه من قبل منها:

- عناصر الجملة الاسمية: سُمي هذا الدّرس في كتاب الجيل الثاني بعنوان: المبتدأ والخبر.
- دخول كان و أخواتها على الجملة الاسميّة :سُمي هذا الدّرس بعنوان كان و أخواتها.
- دخول إنّ وأخواتها على الجملة الاسميّة: هو في كتاب الجيل الثاني بعنوان إنّ و أخواتها.
- الفعل المبني للمجهول: سُمي هذا الدّرس بعنوان نائب الفاعل.
- التّرقيم :عُنوِنَ هذا الدّرس في كتاب الجيل الثّاني بـ علامات الوقف, و أُخذ في حصتين بدل الحصة الواحدة.

ج- عناوين الدّروس التي تفرّعت إلى أكثر من درس:

أبقى كتاب الجيل الثّاني على درسين من كتاب الجيل الأول لكنه جعل كلّ واحد منهما في درسين بدل درسٍ واحدٍ هما:

- النّعت و المنعوت: تفرع هذا الدّرس إلى درسين هما النّعت و النّعت السّببيّ.
- التّاء المربوطة والتّاء المفتوحة: قُسم الدّرس إلى درسين الأول التّاء المفتوحة والثاني التّاء المربوطة.

د- عناوين الدّروس المحذوفة:

حذفت مجموعة دروس من نشاط قواعد اللغة في كتاب الجيل الثاني بعد أن كانت موجودة في كتاب الجيل الأول و هي: الميزان الصّرفي–الفعل الصّحيح و أقسامه- تصريف الفعل الصّحيح- همزة القطع في بداية الكلمة–الفعل المعتل- الفعل

اللازم و الفعل المتعدي – الفعل المضارع المرفوع– الفعل المضارع المنصوب– الفعل المضارع المجزوم– عناصر الجملة الفعليّة – اسم الفاعل– اسم المفعول– المفرد و المثنى و الجمع– النّكرة و المعرفة– التّنوين بالفتح.

إنّ أغلب الدّروس المحذوفة في كتاب الجيل الثّاني هي دروس صرفية و ربما يرجع ذلك إلى قلّة أهميتها في الاستعمال اليومي للّغة مقارنة بالجانب النّحوي الذي يحرص المتكلم على سلامته للفهم الجيد لفحوى كلامه.

هـ– عناوين الدّروس الجديدة:

حمل كتاب الجيل الثّاني في طياته مواضيعَ جديدةً لم تك موجودةً في كتاب الجيل الأول و أغلبها مواضيع نحويّة وظيفيّة يستعملها المتكلم في كلامه اليوميّ، و هي: الضّمير وأنواعه – أسماء الإشارة– الاسم الموصول–جمعا المذكر و المؤنث السّالمين– الهمزة في آخر الكلمة– (ال) الشّمسية و(ال) القمرية– المفعول المطلق– المفعول لأجله– المفعول معه– الحال– أنواع الحال– ألف التّفريق– الألف اللينة1 –الألف اللينة 2.

فيمكن القول أنّ واضعي كتاب الجيل الثّاني انتقوا من مواضيع النّحو أكثرها فائدةً و أهميّةً للمتعلّم، و التي ترفع مستوى أدائه اللّغويّ، و تحقق له الهدف من النّحو و هو ضبطُ الكلامِ وصحّةُ النّطقِ و الكتابةِ؛ و الأكثر دورانًا و استعمالاً في الكلام الواقعيّ اليوميّ في الحياة، فنأت المواضيعُ عن كلِّ ما هو صعب معقد ينفر منه المتعلّم كالاشتغال والاستغاثة، والإعراب التّقديري، والتّنوين، والحذْف نحو حذف الفاعل والمفعول، والعامل والتّقديم والتّأخير، و المصدر المؤوّل، والمعرب والمبني، وأنواع الخبر، والتّنازُع والتّصغير؛ لأنَّ هذه المواضيع تناسب المتخصّصين.

2) التّرتيب(التّدرج في المادة):

إنّ التّرتيب الجيّد للمحتوى يجعل المتعلّم لا يحسّ بأيّة غرابةٍ عندما ينتقل من درسٍ لآخرَ, بل يشعر بوجود تسلسلٍ متماسكٍ بين الدّروس المتتالية, و لا يتمّ ذلك إلاّ إذا كان الدّرس الواحد يرتبط بما قبله, لما فيه من تدعيم و تثبيت للمكتسبات السّابقة, و بالّذي يليه بالتّمهيد له.

أ) ترتيب المواضيع في الكتاب القديم:

كان ترتيب مواضيع نشاط قواعد اللّغة في كتاب الجيل الأول يراعي جانبَ التّصنيف و التّشابه في المحتوى, إذْ أنّ الدّروس المقترحة هي مباحثٌ في اللّغة و هي متكونةٌ من اسمٍ و فعلٍ و حرفٍ؛ فلم ينتقل كتاب الجيل الأول إلى الاسم إلا بعد أنْ استوفى المحتوى من دروسِ الفعل, فقد أُنتهج فيه نهجَ النّحاةِ المتأخرين كالزمخشري وابن هشام الذين ينظرون إلى الوحدات اللّغوية نظرةً تصنيفيةً لا تدركُ العلاقات البنيويّة و التّفريعيّة الموجودة، إذْ اللّغة تُدرس بهذه الطّريقة الكاشفةِ عن العلاقات الموجودة بين الوحدات, لا وصف الوحدات بطريقة جامدةٍ, فهذا كلّه تغاضٍ عن النّتائج الحديثة التي أتت بها اللّسانيات الحديثة.

ب) ترتيب المواضيع في الكتاب الجديد:

لم يعتمد كتاب الجيل الثّاني على تصنيفات القدامى في ترتيب مواضيعه بل حاول الاستفادة من النتائج التي توصلت لها اللسانيات الحديثة و ذلك باعتماده على نظريّة النّحو الوظيفيّ لسيمون ديك, و التي تبناها أحمد المتوكل في العالم العربيّ, وهي تنطلق من مبدإ أنّ بنية الجملة تخضع إلى حدّ كبير للوظيفة التّواصليّة ثم العلاقة البنيويّة. فهي ترى أنّ الجملةَ فعلٌ لغويٌّ

يتميز بخصائصَ دلاليّةٍ تداوليّةٍ تعكسها خصائص بنيويّة (صرفية تركيبية). و يعرف أحمد المتوكل الجملة أيضا بقوله : نقصد بالجملة كلّ عبارةٍ لغويّةٍ تتضمن حملاً(نوويًا أو موسعًا) و مكونًا(أو مكوناتٍ) خارجيًا.[10]

فاشتقاق الجملة يعتمدُ في نظر النّحو الوظيفيّ على البنية الحمليّة[11] استنادًا على الحمل و هو نتاج إسناد محمولٍ (مسند) إلى عددٍ من الحدودِ أو الموضوعاتِ تُسهم في تحقيقه؛ لذا استهل كتاب الجيل الثّاني مواضيع النّحو بدرس النّعت فالفعل باعتبارهما محمولات تبنى عليها الجملة وهي ركيزتها و ركنها الأساسي , يسند المحمول فعليا كان أم اسميا إلى حدودٍ تشاركه في تشكيل الواقعة , يعرف سيمون ديك الحدّ بأنّه:« كلُّ عبارةٍ يمكن استعمالها للإحالة على ذواتٍ أو ذواتٍ في عالمٍ ما»[12]ويدخل في ذلك (دروس الضّمير و أنواعه, و أسماء الإشارة, والاسم الموصول) باعتبارها حدودًا.

يُقسم المتوكل الحدودَ إلى نوعين: حدود الموضوعات, و حدود اللّواحق؛ أمّا حدودُ الموضوعات فهي الحدودُ التي يقتضيها تعريف الواقعة و هي ثلاثة حدودٍ: المنفذُ للمحمول (الفاعل و المبتدأ) وقد ورد درسا (كان وأخواتها) و (إنّ وأخواتها) بعد المبتدإ لأنّهما مرتبطان به ولأنهما يدخلان في باب ما يعرف في النحو الوظيفي بالجملة الربطية, و حدّ المتقبل و المستقبل (نائب الفاعل و المفعول به) و جيءَ بنائبِ الفاعلِ قبل المفعولِ لأنّ الأولَ يحمل في الوظائف التركيبيّة أو ما سماه المتوكل بالوظائف الوجهيّة[13] وظيفة الفاعليّة في حين يحمل المفعول به وظيفة المفعوليّة.

تناول كتابُ الجيلِ الثّاني للّغة العربيّة بعد ذلك الحدودَ اللّواحقَ و هي حدودٌ لا يتوقف عليها تعريف الواقعة و لذلك يمكن الاستغناء عنها عقلاً لا استعمالاً, من هذه الحدود: وظيفة الحدث (المفعول المطلق) وظيفة العلّة (المفعول لأجله) وظيفة المصاحب (المفعول معه) وظيفة الحال (الحال- أنواع الحال).

فالجملة في نظر النحو الوظيفي من حيث البنية الحملية هي:

- المحمول (فعلي أو اسمي)+ حدودُ موضوعاتٍ (منفذ-متقبل-مستقبل) = حملٌ ننويّ
- المحمول (فعلي أو اسمي)+ حدودُ موضوعاتٍ (منفذ-متقبل-مستقبل)+حدود لواحق= حملٌ موسّعٌ.

إنّ الجملة المركبة= حملٌ نوويّ+مكون خارجيّ(مبتدأ- منادى- ذيل) أو = حمل موسع + مكون خارجي.

لذا فصل بين النعت الحقيقيّ و النعت السببيّ و جعل هذا الأخير يحتل المرتبة الرابعة في ترتيب دروس النّحو لأنّه يدخل في تركيب الجمل المركبة (محمول فيها)حسب النحو الوظيفي ففي جملة: زيدٌ كريمٌ أبوه. /كريمٌ :محمول اسمي ,أبوه: منفذ أمّا زيدٌ: فمكون خارجي (مبتدأ).

و المتتبع لمواضيعِ النّحوِ في الكتاب يُدرك لا محالةَ أنّها تنتقل من السَّهل إلى الصَّعب وإلى الأكثر صعوبة، و هو ما جاء في مقدمة ابن خلدون: «اعلم أنَّ تلقين العلوم للمتعلّمين إنَّما يكون مفيدًا إذا كان على التدرّج شيئًا فشيئًا، وقليلاً قليلاً».[14]

والتّدرّج على حسب تعريف محمود كامل النّاقة: "إدخال نواة التَّراكيب قبل التَّركيب الموسَّع، ويقصد به عدم إدخال صورة من صوره الموسّعة قبل إدخاله في أبسط صوره، فلا يصحّ مثلاً إدخال تركيب مثل: (هذا الطالب الأمريكي جديد) قبل إدخال (هذا الطالب جديد) وهذا بدوْرِه لا يدخل قبل: (الطالب جديد)[15]

راعى كتاب الجيل الثاني ذلك حين بدأ بمكونات الحمل النّوويّ فالموسّع.

وبهذا يمكن القول أنّ كتاب الجيل الثاني استطاع في ترتيب مواضيعه أنْ يُخرج نشاطَ النّحوِ من قوقعة دراسته كوحداتٍ مستقلةٍ وصفيةٍ, و ساهم في دراسة اللّغة ككلٍّ متكاملٍ, يحمل النّحوُ فيه على عاتقه وظائف تركيبيّةً دلاليّةً تتحكم فيها وظائف تّواصليّة.

3) طريقة عرض المادة:

أ) طريقة التدريس في الكتاب القديم:

اعتمد الكتاب القديم طريقة تجزئة القاعدة النّحوية, و هي طريقة تعتمد على الطريقة القياسيّة أو التلقينيّة التي تبدأ بعرض القاعدة النّحوية ثم تقديم بعض الشّواهد و الأمثلة لتوضيحها, و تعزيزها, و ترسيخها في أذهان التّلاميذ, ثم إجراء تطبيقات عليها من خلال أمثلة مشابهة و حالات مماثلة.[16] إلا أنّها لا تعطى القاعدة دفعة واحدة, و إنّما تعطى على شكل جرعات أو أجزاء لتيسير إدراكها من التّلاميذ, و تتيحُ لهم المتابعة الجيّدة للدّرس, لأنّ بعض القواعد تكون مطولةً متشعبةً ,و إعطاؤها دفعة واحدة يربك التلميذ.[17]

و هذه الطّريقة و إنْ كانت سريعةً و سهلةً حيث أنّها تعطي المتعلّم القاعدة جاهزةً ومعززةً بالأمثلة إلاّ أنّها تتنافى و ما تنادي به قوانين التّعليم من حيث البدءِ بالسّهلِ و التدرجِ إلى الصّعبِ[18] ؛فهي تبدأُ بالقاعدةِ و تنتهي بالأمثلةِ ,و هذا يُشكل صعوبة في استيعابها كما أنّها تعتبر النّحو غاية في حدّ ذاته و ليس وسيلةً لإصلاح العبارة وتقويمِ اللسان.[19] فلا يتم من خلالها تحصيل الملكة الحقيقية للغة.

ب) طريقة التّدريس في الكتاب الجديد:

اعتمد كتاب الجيل الثاني على طريقة حلّ المشكلات في تدريس القواعد النّحوية, و هي طريقة تقوم على درس التعبير و القراءة و النصوص – قامت في هذا الكتاب على النصوص المشروحة 2 – حتى يتخذ المعلّم هذه النّصوص و الموضوعات نقطةَ البدءِ لإثارةِ المشكلة التي تدور حولَ ظاهرةٍ أو قاعدةٍ ,ثم يلفت نظرهم إلى أنّ هذه الظاهرة ستكون دراسة موضوع النّحو المقروء التي بين أيديهم, أو من غيرها ,و مناقشتها معهم حتى يستنبط القاعدة.[20]

فالأمثلة المأخوذة من نص القراءة المشروحة تعد الخطوة الأولى لهذه الطريقة، و بواسطتها يتمّ تحديد المشكلة التي تدور حول الظاهرة النّحويّة، أمّا المناقشة فباديةٌ في الأسئلة المطروحة التي سيجيب عنها التّلاميذ, و بذلك يكونون فاعلين في الدّرس, لتختم بالتّطبيق لتّعزيز المعلومات المكتسبة.

4) إجراء التّدريبات و التّطبيقات:

تكتسي التّطبيقات أهميةً بالغةً في تعليم اللّغة, فبها يتمّ ترسيخ المعلومات المكتسبة إذْ يقول الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح :« هو التّدريب على استعمالها نفسه ,و إدراك عناصرها ما هو إلا تمهيدا لهذا التّدريب لا أقلّ و لا أكثر»[21] فهو يرى أنّ إدراك عناصر القاعدة ليس هدفا في حدّ ذاته إنّما هو تمهيد لتدريب استعمالها في الكلام.

و تتنوع هذه التّطبيقات بين التّحويل, التّصريف, ملء الفراغ, الإعراب, الإتيان بجمل قياسًا على القاعدة و وضع الأسطر تحت ما يتعلق بالظّاهرة المدروس؛ و هدفها خدمة التّعبير بقسميه الشّفهيّ و الكتابيّ.

أ) التّطبيقات في الكتاب القديم:

تختلف تطبيقات القاعدة النّحويّة من درسٍ لآخرَ نوعًا و كمًّا , فهي في درس عناصر الجملة الاسميّة مثلا حوالي ستّة تمارين – و هو عدد مقبول نوعًا ما– لترسيخ القاعدة؛ تراوحت بين تحديد المبتدإ و الخبر, و إكمال الفراغ بالمبتدإ, أو الخبر بأنواعه, إلاّ أنّها لم تُلِم بجميع أجزاء القاعدة, كالتّطابق بين المبتدإ و الخبر, وحكمهما الإعرابيّ, وعلامات الإعراب.

ب) التّطبيقات في الكتاب الجديد:

التّطبيقات في كتاب الجيل الثّاني قسمان صفيّة فورية تجرى عقب كلّ درسٍ (أُوظِّف تعلّماتي) وأخرى بيتيّة يكلّف التّلاميذ بإنجازها (أُنجز تماريني في البيت) للتّأكيد من استيعابِ التّلاميذ للمعلومات المقدّمة , و هي متنوعةٌ في درس المبتدإ و الخبر بين إنشاءِ جملٍ مع تبيين وجه المطابقة بين المبتدإ و الخبر, و ملءِ الفراغ, و الإعراب تثبيتا لكامل أجزاء القاعدة إلاّ أنّ عددها قليلٌ نسبيًا ليرسخَ المعلومات في ذهن التّلميذِ .

لم يتوقف واضعو كتاب الجيل الثاني في التّطبيق على القاعد النّحويّة عند حدود الدّرس فقط، بل تعدوا ذلك لتشكل دروس القراءة و التّعبير بشقيه الشّفهيّ و الكتابيّ أنشطة إدماجية هامة للقواعد اللّغويّة المختلفة، و مؤشرا واضحا على مدى قدرة المتعلّم على تحويل هذه القواعد بتوظيفها في وضعيات جديدة.

5) الحجم:

يدعو إلياس ديب إلى البساطة و الوضوح في تعليم قواعد اللغة، و التركيز على القليل المفيد المستخدم و الابتعاد عن الكثرة التي لا تستوعب و تزول مع الزمن؛ يقول في ذلك: « فلنجعل شعارنا في تعليم القواعد البساطة و الوضوح، فقليلٌ يفيد، و يُستوْعَب، و يُفهم، و يُستخدم خيرٌ من كثير يُحفظ، ويردَّد بدون فهم، ثمَّ يتلاشى كضباب كثيف خانق»[22]

فكلما كانت القاعدة النّحويّة موجزةً مركزةً على المعلومات الأساسيّة، يسر استيعابها من قبل المتعلّم، و سهل عليه توظيفها في كلامه اليوميّ، و ازداد قربا من النحو لا نفورا.

أ) حجم الدّرس في الكتاب القديم:

من مميزات الطّريقة القياسيّة التّلقينيّة أنّها قصيرةٌ, تنفي جميعَ الخطواتِ الّتي توصلُ إلى التّعريف أو القاعدةِ, فهي تُورد القاعدة أولاً, ثم تُعزّزها بأمثلةٍ, فقد تكون درس عناصر الجملة الاسمية مثلا من خمسة مقاطعَ صغيرةٍ ,يُعبر كلُّ مقطعٍ عن جزءٍ من القاعدة وهي كالتّالي: ركنا الجملة الاسمية– ترتيب الركنين–مطابقة الخبر المبتدأ من حيث الإفراد و التثنية و الجمع و من حيث التذكير و التأنيث –حكم المبتدأ و الخبر– علامات الرفع (الضمة–الألف– الواو) – تعريف الخبر و أنواعه (مفرد جملة فعلية، جملة اسمية، شبه جملة), معزّزة بأمثلةٍ كافية و واضحة لترسيخ عناصر القاعدة، ثم التّطبيق, فجاء الدّرس كاملا في صفحتين .

ب) حجم الدّرس في الكتاب الجديد:

إذا كانت الطّريقة الأولى قصيرةً, فإنّ هذه الطّريقةَ أقصرُ, فالقاعدة في كلّ درسٍ من كتاب الجيل الثّاني كانت موجزةً مركزةً على المهمّ في الدّرس, غاضةً الطرفَ عن غير المهمّ، حيث اقتصرت في درس المبتدإ و الخبر على سبيل المثال على: تعريف المبتدإ– تعريف الخبر – مطابقة الخبر المبتدأ في النوع و العدد و الحكم الإعرابي دون تفصيل؛ و قد انطلق

الدّرس بمثالٍ واحدٍ فقط من القراءة المشروحة – التي تؤخذ منها الأمثلة و هذه الأخيرة في كتاب الجيل الثّاني رغم كونها سهلةً متعلقةً بحياة المتعلّم إلّا أنّها قليلةٌ في بعض الدّروس, فهناك دروسٌ تعتمد مثالًا واحدًا, وأخرى مثالين, و ثالثة لا تتعدى ثلاثة أمثلة – ثم عرض التّطبيق؛ فلم يتعرض الدّرس إلى علامات رفع المبتدإ و الخبر ولا تبيين أنواع الخبر, و لم يُعَزز كلّ جزءٍ من القاعدة بأمثلة إنّما اكتفى بمثال الانطلاق؛ فجاء الدّرس كلّه في صفحة واحدة فقط.

6) الشكل و الإخراج:

أثبتت الدراسات الحديثةُ في علمِ تعليمِ اللّغة مدى أهميّة الشّكلِ و طريقةِ الإخراجِ, إذْ هما المتحكمُ في إقبال التّلميذ نحو المادة التّعليميّةِ, أو النّفور منها, فالتّلميذ يبحث عن العناصرِ الواضحةِ, و بألوانٍ زاهيةٍ, تزيد من اهتمامه, و تجذبه للدّرس ,و قد راعت وزارة التربية ذلك و أولته عناية بالغة في عملية الإصلاح.

أ) الشّكل و الإخراج في الكتاب القديم:

كان الإخراجُ في الكتاب القديمِ جذابًا و واضحًا باستعمال الألوانِ, وأنواعِ الخطوطِ, و بأحجامٍ وألوانٍ مختلفةٍ، تُيسِّر على التّلميذ إيجاد مبتغاه؛ وفيما يخصّ درس القواعد, فقد كتبت كلمتي(قواعد اللّغة) و (تمارين) بحجم كبير و لون أحمر فيما ميّزت القاعدة عن باقي الدّرس بحجم كبير و لون أسود.

ب) الشّكل و الإخراج في الكتاب الجديد:

لا يختلف إخراج كتاب الجيل الثّاني عن سابقه – فقد جاء في شكلٍ جذابٍ و واضحٍ – إلاّ في تخصيص الدّروس بألوانٍ مميزةٍ لها, وقد كان اللّون البرتقاليّ من حظِّ درسِ القواعد، كما أنَّ أجزاء القاعدة دُوِّنت داخل إطارٍ برتقالي و لم تختلف في حجم الخطّ عن باقي الدّرس.

من خلال المقارنة يمكن الوصول إلى أنّ هناك أوجه تشابه في نشاط قواعد اللّغة بين الكتابين و أوجه اختلاف جاءت نتيجة محاولة إصلاح المنظومة التّربويّة و السّير بها نحو الأفضل تماشيًا و النّظريات الحديثة في طرق التّدريس و اللّسانيات و تعليم اللّغات و غيرها.

أوجه الاتفاق:

يتفق كتاب الجيل الأول و الجيل الثاني في تدريس النّحو في مجموعة نقاط يمكن إجمالها في:

- الشّكلُ الجذابُ و الواضحُ (الألوان- أحجام و أنواع الخطوط- الصور...)
- المحتوى نسبيًا متشابهٌ.
- الاعتمادُ على نصِّ القراءة المشروحةِ للانطلاقِ في درسِ قواعد اللّغة(دراسة اللّغة ككلٍّ متكاملٍ).

أوجه الاختلاف:

تختلف طريقة تدريس النّحو في الكتاب الجديد عن طريقة تدريسه في الكتاب القديم:

- الطّريقة المعتمد في الكتاب القديم هي تجزئة القاعدة (قياسيّة), وفي الكتاب الجديد طريقة حلّ المشكلات.
- اعتماد نظرة النّحاة المتأخرين في ترتيب الدّروس في الكتاب القديم, و اعتماد نظرية النّحو الوظيفي في الكتاب الجديد.
- التّمارين في الكتاب الأول تطبيقية للقاعدة، وهي في الكتاب الجديد فورية و أخرى منزلية.

– حجم الدّرس طويل نوعًا ما في الكتاب القديم, قصير موجز في الكتاب الجديد.

– التّمثيل لكلّ جزء من القاعدة في الكتاب القديم, عرض الأمثلة التي تخدم القاعدة– المستقاة من نصّ القراءة المشروحة فقط– دفعة واحدة ثم مناقشتها للوصول إلى القاعدة، و لا يهم التّمثيل لكلّ جوانب القاعدة.

– التّلميذ حسب الكتاب القديم حافظ للقاعدة اللّغوية، و أمّا في كتاب الجيل الثّاني فهو مناقشٌ فعالٌ مع المدرس ليستنبط القاعدة.

و في الأخير يمكن القول أنّ كتاب الجيل الثّاني أتى ببعض الإصلاحات فعلا في ناحية طريقة تدريس النّحو من جوانب عديدة منها: جلب اهتمام التّلميذ بواسطة الإخراج الجيد, التّقليلُ من حجم الدّروس لتيسير استيعابها, الرّبط بين النّحو العربيّ الأصيل و النّظريات الحديثة للّسانيات, وعلم تعليم اللّغات, انتقاء المواضيع التي تساعد على الاستعمال اليوميّ للّغة استعمالاً فصيحًا سليمًا من الخطأ, و استعمال الأمثلة القريبة من حياة التّلميذ لكي لا ينفر من النّحو ,و ترهقه صعوبة شواهده.

لكن تُلمس في كتاب الجيل الثّاني(كتابي في اللّغة العربيّة) بعض الجوانب التي تعيق الوصول إلى الهدف المرجو من تدريس النّحو منها: قلّة الأمثلة التي يمكن من خلالها الاستنباط الجيّد للقاعدة, و ذلك راجعٌ لعدمِ الاختيارِ الجيّد لنّصّ القراءة المشروحة الذي كان من المفروض– زيادةً على كونِه ضمن وحدةٍ مدروسةٍ– أن يراعى في اختياره احتواؤه على القدرِ الكافي من الأمثلةِ التي تخدم درسَ القواعدِ المتّصل به؛ قلّة التّدريبات التي ترسخ القاعدة و تعين على استعمالها أثناء التّواصل؛ وجود بعض الأخطاء خاصة الإملائية التي يكتسبها التّلميذ أثناء الدّرس.

و لتُعطي عملية التّدريس ثمارها إضافة إلى العناية بطريقة التّدريس–التي يفضل التّنويع فيها بين القياسيّة و الاستقرائيّة و المعدّلة، و حلّ المشكلات و غيرها لتفادي الروتين الذي يملّ منه التّلميذ, و اختيار الطريقة التي تلائم كلَّ درسٍ– يجب ألا ننسى بقية عناصر العملية التعليميّة و هي: المتعلّم الذي لابدّ أن يكون راغبًا في التّعلّم مركزًا كلَّ اهتمامه على التحصيل الجيّد, جادًا في ذلك, و المعلّم الذي يجب أنّ تتوفر فيه اللّغة السّليمة الفصيحة, و المكتسبات العلمية, و القدرة على إيصال المعلومة للتّلميذ؛ وللجو المحيط بالعمليّة التّعليميّة أهميّة كبيرة فيجب ملاءمته للتّدريس.

الهوامش:

1– ابن جني, أبو الفتح عثمان:الخصائص,ت محمد علي النجار,عالم الكتاب,بيروت,لبنان,ط3,سنة 1983م, ج1,ص:34.

2– أبي عثمان الجاحظ:رسائل الجاحظ,ت عبد السلام هارون, دار الجيل, بيروت , ط1, 1991م, ج3,ص:38.

3– ينظر:القلا فخر الدين و ناصر يونس:أصول التربية و طرائقها, , ديوان المطبوعات الجامعية,كلية التربية, دمشق , دط ,سنة 2004م, ص:206.

4– ينظر:دروزة أفنان نظير: النظرية في التدريس و ترجمتها عمليا, دار الشرق, الأردن,سنة 2000, ص: 17.

5– عبد الرحمن الحاج صالح: علم تدريس اللغات و البحث العلمي في منهجية الدرس اللغوي, مقال غير منشور.

6– ينظر: فيصل حسين طحيمر العلي: المرشد الفني لتدريس اللغة العربية, مكتبة الثقافة للنشر و التوزيع ,ط1, 1998م,ص:210.

7– محمود أحمد السيّد :الموجز في طرائق تدريس اللغة العربية و آدابها , دار العودة, بيروت, 1980م,ص:132.

8– ينظر:كتاب التلميذ «اللغة العربية للسنة الأولى من التعليم المتوسط», ديوان المطبوعات, الجزائر, سنة 2003.

9– ينظر:كتاب التلميذ«كتابي في اللغة العربية للسنة أولى من التعليم المتوسط», ديوان المطبوعات, الجزائر, سنة 2016.

10– ينظر:أحمد المتوكل: الجملة المركبة في اللغة العربية,منشورات عكاظ , المغرب,ط1, 1987م, ص:27.

11- ينظر:أحمد المتوكل: من البنية الجملية إلى البنية المكونيّة, دار الثقافة, المغرب, ط1, سنة1987م,ص: 18-23.

12- نقلا عن أحمد المتوكل: قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية (بنية المكونات أو التمثيل الصرفي التركيبي) , دار الأمان, المغرب, ط1,سنة 1995, ص:125.

13- ينظر: أحمد المتوكل: قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية(بنية الخطاب من الجملة إلى النص) , دار الأمان, الرباط, 2001م,ص:107.

14- ابن خلدون، عبدالرحمن بن محمد: مقدمة ابن خلدون، ضبطه خليل شحادة, دار الفكر، بيروت، 2001م، ج1، ص 734.

15- ينظر: محمود كامل الناقة:تدريس القواعد في برنامج تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها, معهد الخرطوم, السودان, 1985م, ج3، ص28.

16- ينظر: زكريا إسماعيل: طرق تدريس اللغة العربية, دار المعرفة الجامعية, الإسكندرية, سنة 1995م, ص: 209.

17- ينظر:طه حسين الدليمي و كامل محمود الدليمي: أساليب حديثة في تدريس قواعد اللغة العربية دار الشروق للنشر والتوزيع , عمان، ط 1, 2004م , ص:229.

18- ينظر: عبد الكريم خليفة:التربية و أصول التدريس, مطبعة المعارف, سوريا, حلب, سنة1948م, ص:21.

19- ينظر:علي النعيمي: الشامل في تدريس اللغة العربية,دار أسامة النشر و التوزيع, عملن,الأردن,ط1, سنة 2004م, ص:43-44.

20- فؤاد أبو الهيجا : أساليب تدريس اللغة العربية و إعداد دروسها اليومية بالأهداف السلوكية ,دار المناهج للنشر عمان, ط 2, 1423هـ-2002م,ص:120-122.

21- عبد الرحمن الحاج صالح:أثر اللسانيات في النهوض بمستوى مدرسي اللغة العربية ,مجلة اللسانيات,العدد4, ص:7.

22- إلياس ديب: مناهج وأساليب التربية والتعليم لتراكيب اللغة العربية: دراسة اللغوية، دار الكتب اللبنانية، بيروت، 1981م، ص278.